

أقسام الخلق من حيث الطيب والخبث

بعد ذلك ذكر في الفصل الثاني ما يتعلّق بالطيب الذي هو ضد الخبيث، فإن الله تعالى جعل الخلق قسمين: خبيث وطيب قال الله تعالى: { إِلَيْمَرَ اللَّهُ الْحَبِّيْتَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلُ الْحَبِّيْتَ بَعْصَةً عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكَمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلَئِكَ هُمُ الْحَاسِرُوْنَ } فالخبيث يكون من المكاسب، ويكون من الأعمال، ويكون من الأقوال، ويكون من الأشخاص، وكذلك الطيب. ورد في الحديث { إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا } يعني لا يقبل من الأعمال إلا الطيب، ولا يقبل من النفقات والصدقات إلا الكسب الطيب، ولا يقبل من الأعمال الصالحة إلا ما كان طيباً، وهو دليل على أنه قسم الأعمال إلى طيب وخبث. فالخلق ينقسمون كما سمعنا إلى ثلاثة أقسام: طيب طيبه خالص، وخبيث كله خبيث، وما فيه خبيث وطيب، فاما الطيب: فهم أولياء الله وعباده الذين أخلصوا أعمالهم لربهم وأطاعوه ولم يعصوه ولم يفعلا شيئاً مما يسخط الله عليهم، فهولاء هم خيرة الله تعالى، وهم أهل الطيب، الذين يسكنهم بدار كرامته، يسكنهم في جنته، لأنهم طيب أعمالهم، وطيب قلوبهم، وطيب أقوالهم، وطيب مكاسبهم، فكلهم متصرفون بالطيب. وكذلك القسم الثاني: الذين هم قبح كلهم وهم الكفار، فهولاء الكفار هم أهل الخبيث، كل أعمالهم خبيثة، أقوالهم خبيثة، وما كلهم خبيثة، وما يتغذون به خبيث، أعمالهم كلها خبيثة، لم يكونوا من أهل الطيب أصلاً، فمثل هؤلاء لا شك أنهم من أهل دار الخبيث، الذين هم يعبدون في النار فلا يدخلون الدار الطيبة، إنما لهم الدار التي أعد لها الله تعالى للخبث، كما في الآية التي ذكرنا: { وَيَجْعَلُ الْحَبِّيْتَ بَعْصَةً عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكَمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلَئِكَ هُمُ الْحَاسِرُوْنَ } . وكذلك أيضاً القسم الثالث: الذين هم عندهم عمل خبيث وعمل طيب، قال الله تعالى في حقهم: { حَلَطُوا عَمَّا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا } فهولاء إما أن يطهرهم الله في الدار الدنيا؛ فيبتليهم بالمصائب، أو يجعل لهم نوعاً من العقوبات؛ حتى تطهرهم تلك العقوبات وتلك المصائب، وإنما أن يوفهم الله للتوبة فيقبلوا على الله ويعملوا الأعمال الصالحة، وإنما أن يموتو ويفهم هذا الخبيث ولكن عندهم أصل الطيب، فمثل هؤلاء لا بد أن يذهبون فيدخلهم دار العذاب؛ حتى يتظاهروا، تطهرهم النار تمتصهم. ضربوا لذلك مثلاً بالحديد الذي فيه شيء من الخبيث من التراب ونحوه، لا يصفى إلا إذا دخل النار فذاب فعند ذلك صفا ما فيه من الحديد الحالص وما فيه من الطين والتراب وما أشبهه، وكذلك معلوم أيضاً أن الصائغ يدخل الذهب في النار حتى يذوب، فإذا ذاب تميز ما هو ذهب وما هو حديد؛ فلذلك مثل ذلك بهذا المثل، قال الله تعالى: { قَائِمًا الرَّبِيدُ فَيَدْهُبُ جُفَاءً وَأَمَا مَا يَنْقُعُ النَّاسُ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَصْرُبُ اللَّهُ الْأَمْتَالَ } بعد أن ذكر أن هذا الزيد الذي يحمله السيل أنه يذهب جفاء، ثم قال: { وَمِمَّا يُوَقْدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ اتِّبَاعَ حَلَيَّةً أَوْ مَنَّاعَ رَبَدْ مِثْلُهُ } فالحاصل أن هذا القسم هم الذين خلطوا عملاً صالحاً وأخر سيئاً. وبكل حال نعرف أن ربنا - سبحانه وتعالى - طيب يحب الطيب، وأن عباده الطيبين هم المقربون عنده، كما في الآيات التي ذكر وهي قوله تعالى: { الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ } يعني أن الله تعالى طيب أعمالهم.